بسم الله الرحمن الرحيم

شبكةُ شموخِ الإسلامِ

منتدى المجَاهِدَاتِ الشَّامِخَاتِ يُقَدِّم:

تفريغ مجموعة خطب للشيخ أبي الحسن العراقي "مصطفى الناصري" تقبله الله

(٦) "حفظ الدِّين أوجب الواجبات"



بسم الله الرحمن الرحيم

الخطبة الأولى:

بسم الله.

إنَّ الحمد لله، نحمده ونستعيذه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضلَّ له، ومن يضلل فلن تجد له وليًا مرشدًا.

وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، شهادة عبده وابن عبده وابن أمته، ومن لا غنى له طرفة عين عن رحمته.

وأشهد أن نبينا محمد عبده وسوله، خيرته من خلقه، وأمينه على وحيه، دعا إلى سبيل ربه بالحكمة، فأحيى الله به الأمة، وكشف الله به الغمة.

عباد الله؛

أوصيكم وأوصي نفسي أولاً بتقوى الله العظيم، وطاعته ولزوم أوامره، وكثرة مخافته، وأحذركم وبال عصيانه ومخالفة أمره، واستفتح بالذي هو خير:

﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ**﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿**يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءًۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا**﴾ [النساء: ١].

﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا (٧٠) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْۗ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا (٧١)**﴾ [سورة الأحزاب].

أما بعد؛

اعلموا معشر الإخوة أن خير الكلام كلام الله، وأن خير الهدي هدي سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، وأن شر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار، أعاذنا الله وإياكم من حرها وشرها.

معشر الإخوة:

قد أجمع المسلمون سلفهم وخلفهم، أولهم وآخرهم، على أن حفظ الدين هو أوجب الواجبات، وأن حفظ الدين هو أسمى الغايات، وأن حفظ الدين هو أغلى الأمنيات.

فإنها وإن كانت قاعدة أصولية أجمع عليها العلماء، فإنها منهج عاش عليه الأنبياء، وتوارثه الصالحون والمصلحون عبر العصور، كابرًا عن كابر:

[حفظ الدين أوجب الواجبات]

فهذا رسول الله موسى عليه السلام أرسله الله عز وجل إلى فرعون طاغية ذلك الزمان ومعه أخوه هارون، فأمرهما الله عز وجل فقال: **{فَقُولَا إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ}**، [الشعراء: ١٦].

فما كان من فرعون إلا أن سلك نهجه ونهج خلفه من الطغاة ونهج من جاء بعده من الطغاة عبر العصور، نهج منهج الاستهزاء والسخرية، فإنها أول سلاح ينهجه الطغاة والمعرضون، والمحاربون لسبيل الله عبر العصور، فقال فرعون باستهزاء وتكبر، وقال: **وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ؟**

فأجابه موسى عليه السلام بكلام يدل على ثبات أثبت من الجبال الرواسي، فقال: **{قَالَ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ (٢٤)}**.

فقال فرعون باستهزاء وتكبر وتغطرس، **{قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُ أَلَا تَسْتَمِعُونَ (٢٥)}**، ألا تستمعون إلى ما يقول هذا، يريد أن يجر موسى إلى معركة جانبية خاسرة، يريد أن يستدرج موسى إلى أن يشغل نفسه بالدفاع عن نفسه لا بيان القضية التي ابتعث لأجلها، ولكن موسى لم ينجر لذلك.

فلما قال فرعون لمن حوله: ألا تستمعون قال موسى: **{رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ (٢٦)}**.

فاستمر فرعون في استهزائه وغطرسته، فقال لمن حوله: **{إِنَّ رَسُولَكُمُ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ (٢٧)}**، فلم ينجر موسى لذلك أبدًا، بل استمر في بيان القضية التي ابتعث لأجلها، وقال: **{رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ (٢٨)}**.

قضية عاش عليها الأنبياء حتى ماتوا عليها، وتوارثها عنهم الصالحون والمصلحون إلى قيام الساعة، القضية الأساسية التي يعيش لأجلها الناس، إنما هي عبادة الله وحده لا شريك له، بعث الله عز وجل لأجلها الرسل، وأنشأ لأجلها الموازين، وأنشأ لأجلها الجنان والنيران، كل ذلك ليعبد الله وحده لا شريك له.

أوجب الواجبات، وأغلى الأمنيات، وأسمى الغايات، وأوجب الواجبات عند الصالحين والمصلحين عبر العصور:

لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، وهو على كل شيء قدير.

{أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَهًا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ} [البقرة : ١٣٣].

لحظات الاحتضار، لحظات الخاتمة، تلك هي اللحظات التي تُختم بها سيرة المرء، لم ينشغل يعقوب بالمال ولا بالزوجات ولا بالدنيا من غيرها، إنما: **{قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي}**، لم يقل لهم: كيف ستعيشون من بعدي، ولم يقل لهم: كم تملكون من بعدي، إنما أرد أن يطمئن على القضية الأساسية التي رسخت فيه، وأرسله الله لأجلها، وعلّم أبناءه إياها، وأراد أن يطمئن على هذه القضية قبل موته، فإن المرء إنما يتذكر في ساعة الاحتضار، يتذكر أغلى الأشياء التي عاش لأجلها، **{مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ}**.

قضية عاش لأجلها نبيكم صلى الله عليه وسلم، وربَّى عليها أصحابه، وربَّى عليها أمته، فهذا هو صلى الله عليه وسلم في معركة أحد لما انسحب المسلمون إلى أعلى الجبل، فاقترب منهم أبو سفيان، أراد أن يصدهم عن القضية الأساسية التي خرجوا لأجلها: أن تكون كلمة الله هي العليا، فقال لهم :أفي القوم محمد؟ فقال عليه الصلاة والسلام: لا تجيبوه،

فقال: أفي القوم ابن أبي قحافة؟ يعني أبا بكر، فقال عليه الصلاة والسلام: لا تجيبوه، فقال: أفي القوم ابن الخطاب؟ فقال عليه الصلاة والسلام: لا تجيبوه.

فانتفش أبو سفيان، وظن أن الثلاثة قد قتلوا، فقال: أعلُ هبل.

وهنا صاح النبي صلى الله عليه وسلم بأصحابه وقال: أجيبوه!

فقالوا: وما نقول؟

قال: «**قُولُوا: الله أَعْلَى وَأَجَلُّ**».

فقالوا: الله أعلا وأجل.

فقال أبو سفيان: لنا العزى ولا عزى لكم.

فصاح عليه الصلاة والسلام بأصحابه فقال: أجيبوه!

قالوا: وما نقول؟

قال: «**قُولُوا الله مَوْلاَنَا وَلاَ مَوْلَى لَكُمْ**».

فقالوا الله مولنا ولا مولى لكم.

أراد رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يربي أصحابه على ذات القضية التي عاش لأجلها موسى، وذات القضية التي أراد يعقوب أن يطمئن عليها قبل موته، أراد أن يربيهم ويربينا من بعدهم على ذلك، ليس المهم أن نحيا أو نموت، إنما المهم أن تحيا فينا القضية التي عشنا لأجلها، أن تحيا فينا العقيدة التي خلقنا الله لأجلها، أن يُعبد الله وحده لا شريك له.

لما كان الحديث عن حياة النبي صلى الله عليه وسلم أو حياة صاحبيه أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحابه بالسكوت؛ لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم سيموت اليوم أو غدًا، وأن أبا بكر وعمر سيموتان اليوم أو غدًا، فليس هذا هو المهم، المهم أن تحيا فينا العقيدة، العقيدة التي خلقنا الله لأجلها، وقد امتثل الصحابة رضي الله عنهم لهذا المعنى امتثالاً منقطع النظير؛

ففي صحيح الحاكم: عَنْ زَيْدِ بْنِ ثَابِتٍ رضي الله عنه قَالَ: بَعَثَنِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمَ أُحُدٍ وقال اذهب وانظر سَعْدِ بْنِ الرَّبِيعِ (صحابي من الأنصار)، وَقَالَ لِي: " إِنْ رَأَيْتَهُ فَأَقْرِئْهُ مِنِّي السَّلَامَ، وَقُلْ لَهُ: يَقُولُ لَكَ رَسُولُ اللَّهِ: كَيْفَ تَجِدُكَ؟ " قَالَ: فَجَعَلْتُ أَطُوفُ بَيْنَ الْقَتْلَى فَأَصَبْتُهُ وَهُوَ فِي آخِرِ رَمَقٍ وَبِهِ سَبْعُونَ ضَرْبَةً مَا بَيْنَ طَعْنَةٍ بِرُمْحٍ وَضَرْبَةٍ بِسَيْفٍ وَرَمْيَةٍ بِسَهْمٍ، فَقُلْتُ لَهُ: يَا سَعْدُ، إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقْرَأُ عَلَيْكَ السَّلَامَ، وَيَقُولُ لَكَ: «خَبِّرْنِي كَيْفَ تَجِدُكَ؟» قَالَ: عَلَى رَسُولِ اللَّهِ السَّلَامُ، وَعَلَيْكَ السَّلَامُ، قُلْ لَهُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَجِدُنِي أَجِدُ رِيحَ الْجَنَّةِ، **وَقُلْ لِقَوْمِي الْأَنْصَارِ: لَا عُذْرَ لَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَنْ يَخْلُصَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَفِيكُمْ عينٌ تَطْرِفُ**.

علم سعد أن القضية التي ائتمنهم الله عليها كأنصار هي حماية النبي صلى الله عليه وسلم والذود عنه، وقد رأى في آخر ما رأى سعد أن المشركون قد اقتربوا منه عليه الصلاة والسلام، وأرادوا أن ينالوا منه، فخشي أن يلقى الله عز وجل وقد أصيب الرسول صلى الله عليه وسلم بما يكره، فأراد أن يأتمن قومه على رسول الله: لا عذر لكم عند الله لا عذر لكم عند الله أن يصل المشركون إلى رسول الله وفيكم عين تطرف.

فيا معشر المسلمين؛

لا عذر لنا عند الله، والله الذي لا إله غيره، لا عذر لنا عند الله أن يُنال من الإسلام أو يُنال من القرآن أو يُنال من رسول الله صلى الله عليه وسلم وفينا عين تطرف، والله الذي لا إله غيره لا عذر لنا عند الله، لا عذر لنا عند الله: إن نال أعداؤنا من شعائرنا وفينا عين تطرف، لأن الله عز وجل قد ائتمننا على هذا الدين.

فاعلموا يا معشر الاخوة؛

أن أول قضية خلقنا الله لأجلها هي حفظ الدين، اِئتمننا الله عز وجل على هذا الدين، فإن حفظ النفس ما هو إلا تابع لحفظ الدين، وقد شرع الله عز وجل لنا الجهاد، وما الجهاد إلا بذل النفس والمال لأجل أن تكون كلمة الله هي العليا، ولكننا نرى في هذه الأيام أن كثيرًا من

الناس قد انشغلوا بحفظ أنفسهم وأموالهم عن حفظ الدين، وقد جعلوا الدين في المرتبة الثالثة أو الرابعة، هذا إن حسبوا له حسابًا، ووالله الذي لا إله غيره ما هذه بعقيدة الأنبياء، ولا عقيدة رسولنا صلى الله عليه وسلم، ولا عقيدة أصحابه.

هذا علي رضي الله عنه يبارز أحد المشركين في المعركة، فلما أن سقط المشرك على الأرض وأراد عليٌّ أن يجهز عليه بصق ذلك المشرك في وجه علي، فما كان من علي رضي الله عنه إلا أن توقف هنيهة، توقف لفترة ثم أجهز عليه، فسأله أصحابه بعد المعركة عن سبب هذا التوقف، فقال: حدثتني نفسي أن هذا الرجل قد بصق عليك فأقتله انتقامًا لنفسك، فخشيت أن يأتي بين يدي الله مدججًا بدمائه، فيسأل الله عز وجل: يا رب سله فيم قتلني؟ فلا أستطيع أن أقول: قتلته لأجلك يا الله، إنما قتلته لأجل نفسي لأنه بصق عليّ، فأردت أن أجدد العهد على أن أقتله لأجل دين الله عز وجل، ولأجل أن تكون كلمة الله هي العليا.

أقول ما تسمعون وأستغفر الله لي ولكم فاستغفروه إنه غفور رحيم.

الخطبة الثانية:

الحمد لله وكفى، والصلاة والسلام على رسوله المصطفى، وعلى آله وصحبه ومن لنهجه إلى يوم الدين اقتفى، وبعد؛

معشر الاخوة؛

قد يحاول الأعداء أن يرفعوا للمعركة راية غير راية العقيدة، كل ذلك ليشوشوا على الناس دينهم، وليسلبوا من المسلمين سلاح النصر الحقيقي، فما المعركة اقتصادية ولا سياسية ولا عنصرية، ولو كانت كذلك لسهل وقفها، لكنها معركة عقيدة؛ إما كفر وإما إيمان، إما جاهلية وإما إسلام.

لقد عُرض على رسول الله صلى الله عليه وسلم المال والمنصب والمتاع والنساء، ولو أجابهم إلى شيء من ذلك -حاشاه صلى الله عليه وسلم- لما بقيت بينهم وبينه معركة على الإطلاق، لكنه ثبت على ذلك وأجابهم بجواب ثابت ثبوت الجبال:

والله لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في يساري على أن أترك هذا الأمر ما تركته حتى يظهره الله أو أهلك دونه.

فينبغي على المسلمين أن يعتقدوا بهذه العقيدة طالما واجهوا عدوًا لهم، حيثما واجهوا عدوًا يريد أن ينال منهم، ينبغي أن يؤمنوا بهذه العقيدة، وأن يجعلوا حفظ الدين هو أوجب الواجبات، وأن حفظ الدين هو أسمى الغايات وأغلى الأمنيات، لأن الله عز وجل لن يسألهم عن دنياهم بقدر ما سيسألهم عن دينهم، وأننا كما يقول النبي صلى الله عليه وسلم: «**لَنْ تَزُولَ قَدَمَا عَبْدٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّى يُسْأَلَ عَنْ عُمْرِهِ فِيمَا أَفْنَاهُ، وَعَنْ شَبَابِهِ فِيمَا أَبْلَاهُ**»، بأي قضية تعيش، ولأي مبدأ ستموت؟ لكل إنسان على وجه الأرض عنوان يعرف به أمام الناس وبين يدي الله عز وجل؛ فإذا قيل فلان قالوا: فلانًا شاعر، وإذا قيل فلان قالوا فلانًا لاعب، وإذا قيل فلان قالوا فلانًا فنان، وإذا قيل فلان قالوا فلانًا عالم، فلان مجاهد، فلان داعية، فإذا سئل بين يدي الله عز و جل: فيما قضيت حياتك؟ فسيقول: في سبيلك يا رب.

اللهم ردّنا إلى دينك ردًا جميلاً، اللهم ردنا إلى دينك ردًا جميلاً.
اللهم وحد صفوفنا، اللهم لُمَّ شملنا، اللهم ارحم ضعفنا.
اللهم كن لنا هاديًا ونصيرًا، اللهم كن لنا هاديًا ونصيرًا.
ربنا أفرغ علينا صبرًا وثبت أقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين.
اللهم عليك بالرافضة المشركين، والنصارى المعتدين، واليهود الغاصبين، ومن والاهم من العالمين.
نعوذ بك اللهم أن تجعل لهم ولاية على الإسلام أو المسلمين.
اللهم لا ترفع لهم راية، ولا تحقق لهم غاية، واجعلهم لمن خلفهم آية.
اللهم أنزل نصرك ومددك على عبادك المؤمنين الموحدين الصادقين المجاهدين.
اللهم قرّ أعيننا بعز الاسلام والمسلمين، اللهم قرّ أعيننا بنصرك الذي وعدتنا، نصر يعز فيه أهل طاعتك ويذل فيه أهل معصيتك، ويؤمر فيه بالمعروف وينهى فيه عن المنكر.

اللهم يا أرحم الراحمين، يا أكرم الأكرمين؛ إن لنا إخوانًا يرزحون في سجون الكافرين، وما نحن بأرحم بهم منك يا أرحم الراحمين، اللهم ردهم إلى أهليهم سالمين غانمين برحمتك يا أرحم الراحمين.

اللهم وصلِّ و سلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

والحمد لله رب العالمين.

وأقمِ الصلاة .

شعبان

١٤٣٩ هـ